التكوينات الخطّيّة
في
خط الثلث

الخطاط عبدالله بن سواد

١٤٣١

التكوينات الخطية في خط الثلث

التكوين في الخط العربي وبخاصة خط الثلث :

المقصود بالتكوين هو الأسلوب الذي يتم بواسطته ترتيب العناصر الخطية من حروف وكلمات ونقاط وعوامل الضبط والتشكيل والحليات ، ويعد ترتيب أو تنظيم أو تركيب هذه المكونات من أهم ما يواجه الخطاط كونه يتضمن عدداً من القيم الفنية التي تعد من أسس التصميم الجيد لأي عمل فني، مثل: الإيقاع، والتوزيع، والتباين، وتحقيق الوحدة والتوازن، ومراعاة النسب، والحركة المحورية للحروف والكلمات، ومعالجة الفراغ داخل المساحة أو الإطار الذي يتم فيه العمل، فقد يكون التكوين على شكل دائرة، أو مستطيل، أو بيضاوي، أو كمثري، أو حر منطلق وفق ما نشاهده اليوم في العديد من التصميمات. وقد نضيف من القيم الفنية، النمط، واللون، والملمس، والنغمات اللونية، وهذه الإضافة خاصة بهواة اللوحات الخطية التشكيلية.

والهدف من هذا الاستعراض البسيط، هو إيضاح ما قد يفيد كنوع من التمرين على خطوات إخراج اللوحة الخطية المركبة.

والتكوين في الخط العربي يؤدي وظيفة تتضمن وضوح الحروف وضبطها، واتصال مقاطعها وانفصال أو تشابك وحدات النص وتداخلها في صورة مرضية تسر الناظرين، مستفيدين من الإمكانات الواسعة للتشكيل والتنوع والإبداع الذي يتسم به الخط العربي، وخاصة خط الثلث، الذي تتنوع فيه الحروف، وصور اتصالها، ففي كل كلمة أشكال متعددة التي نختار منها أنسبها للتصميم.

ويقاس قوة تصميم اللوحة الخطية في اختيار الخطاط لأشكال الحروف والكلمات من بين مختلف صورها، مع توزيع التشكيل والحليات، وهي رموز جمالية لها أبعادها التشكيلية ضمن المنظومة الكلية للعمل الفني، وتستخدم للتزيين وملء الفراغات مما يكسب اللوحة الخطية التوازن وقوة التكوين وترابطه.

ولا بد من الإشارة إلى أن بعض النصوص قد يصعب تشكيلها في إطار محدد، أي أن النص قد لا يتوافق مع الإطار المحدد مسبقاً، وفي هذه الحالة، إما أن يحدث خللاً ما في الهيئة العامة للتصميم، أو استبدال الإطار الذي يمكن أن يستوعب النص وفق ما يريده الخطاط.

وعلى المتمرن من الخطاطين أن يدرس إمكانات الحروف والكلمات وتنوعها واختلاف صورها، ثم يجرب تركيبها واستجابتها للتشابك والتداخل مع بعضها، وهنا يلزم تكرار المحاولات والمسودات، وعند الوصول للصورة الكلية المرضية، يقوم بإخراجها بصورتها النهائية.

قبل البدء في الحديث عن هذه النماذج (المسودات) تمت كتابة مفرداتها خارج اللوحة،في هذا النموذج (التجربة أوالمسودة) نلاحظ أن لفظ الجلالة وقع أسفل اللوحة وهو ما يخالف ما أجمع عليه المبدعون من الخطاطين الذين يرون أن يكون لفظ الجلالة (الله) في أعلى التصميم إجلالاً واحتراما وتقديراً ليكون لفظ الجلالة دائما في أعلى التركيب وبؤرة الرؤية.

وفي هذه المسودة، وإن بدت صورتها مرضية، إلا أن فيها بعض التفاوت، حيث نرى الكثافة في الجزء الأيمن ، ونجد في (حم) من كلمة أرحم، يمكن أن تكون بصورة أفضل، علاوة على الإطار الذي رسمت فيه فهو محير، حيث نراه بين الدائري والبيضاوي وربما يكون من الأفضل ضبط الإطار الخارجي الذي يضم التكوين ليكون أكثر وضوحاً.

أما المحاولة (المسودة أو التجربة) الثالثة، على شكل مستطيل، ربما تكون مناسبة إلى حد ما.

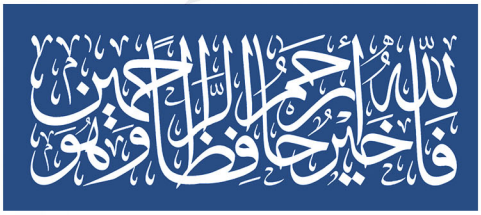

محاولات وتجارب، قد تصل إلى العشرات من التخطيطات الأولية المتنوعة ، ثم تجربتها في إخراج أولي لرؤية حجم الضبط والتوافق والرضا، وهذا ليس قاصراً على الهواة فحسب، بل يفعل ذلك عمالقة الخط للوصول إلى ما يُرضي النفس.

تجارب أولية في محاولة لتشكيل نص
"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

سبعة نماذج لخيارات تمثل بعض التجارب والمسودات في محاولة للوصول إلى النموذج الأنسب بدأت بقلم الرصاص، ثم تطبيقها بقلم بثخانة مناسبة للنص والمساحة، ثم تمت مراجعتها وتعديل ما يلزم، فإن كان منها ما يناسب، يتم إخراجها بالصورة النهائية، وبعد تركها لبعض الوقت، يعاد النظر فيها وتأملها بعين الناقد، قد يجد فيها فجوات تتطلب التعديل، ومنها ما قد لا يتوفر فيها من قيم التصميم وتفتقر إلى الحبكة فلاتكون صالحة ويتم إستبعادها. فالتكوين والنظرة الكلية وفحص الحروف والكلمات وأسلوب تركيبها ليس بالأمر السهل بل يتطلب الكثير من النظر والتأمل والمقارنة والفحص، وأعتقد أنه لا يوجد خطاط إلا وله أسلوبه الخاص وخطواته قبل إخراج العمل بصورته النهائية. ومنهم من يدرس إمكانات الحروف وتشكيل كل كلمة، ثم يدرس الكيفية التي ينظمها في الإطار والمساحة.

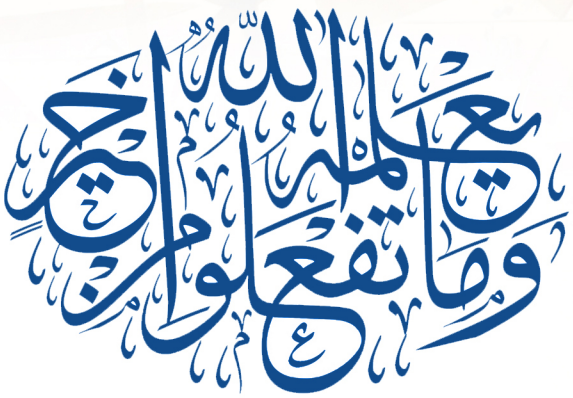

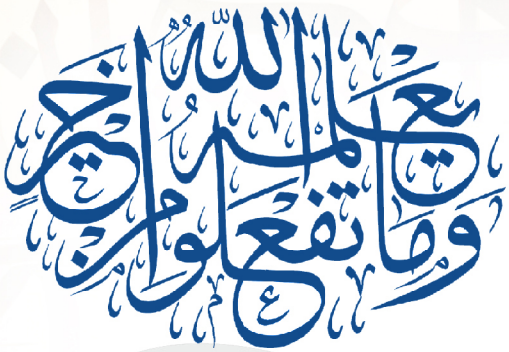

وهنا أربعة نماذج للنص القرآني

"وما تفعلوا من خير يعلمه الله"

من واقع عدد كبير من التجارب والمسودات الأولية، وفي الرسم العلوي نجد تركيبين (الشكل البيضاوي)، الأيمن نجد في وسط التكوين فراغاً، تم ملؤه بالحليات، ونظراً لكونه النقطة المركزية وتعد الأهم في التشكيل، فلم تتم معالجته كما ينبغي.

وفي الصورة المقابلة نفسها، تم المد بين الميم والهاء في محاولة لملء الفراغ، ولكن هناك مبدأ يفضله الكثير،في عدم المد مرتين في الكلمة الواحدة إلا فيما ندر.

وفي التكوينين الدائريين الأخريين،ما زالت الحبكة غير موفقة تماماً، فبالرغم من توفر بعض القيم الفنية، إلا أنها ما زالت حبكة غير موفقة تماماً، وتحتاج إلي المزيد من الجهد لوصول إلى تكوين يتسم بمزيد من القوة.

وفي (الشكل البيضاوي) الأخير، نجد فراغاً أعلى حرف الخاء، على يمين النص، تم معالجته بالتشكيل والحليات بصورة لافتة، مما قد يستوجب مزيداً من المعالجة.

وإكمالاً لما سبق في الصفحة الرابعة، للمقارنة حينما نجد إعطاء التكوين حقه من القيم الفنية، وتوفر الحبكة

الأولى بقلم الخطاط محمد مكاوي، والثانية بقلم عبد الرحمن دبلر، والثالثة بقلم محمد صيام، والرابعة (التوقيع غير واضح).

ومن بعض ما يستوجب التأمل والدراسة،التوازن الذي أحدثه الخطاط بتوزيع حرف (الحاء) على ركني التصميم، والإيقاع في اللوحتين الأخريين الناتج عن تكرار حرف (الحاء وأختها)، وهذا قليل من كثير مما يتطلب الدراسة والاستفادة.

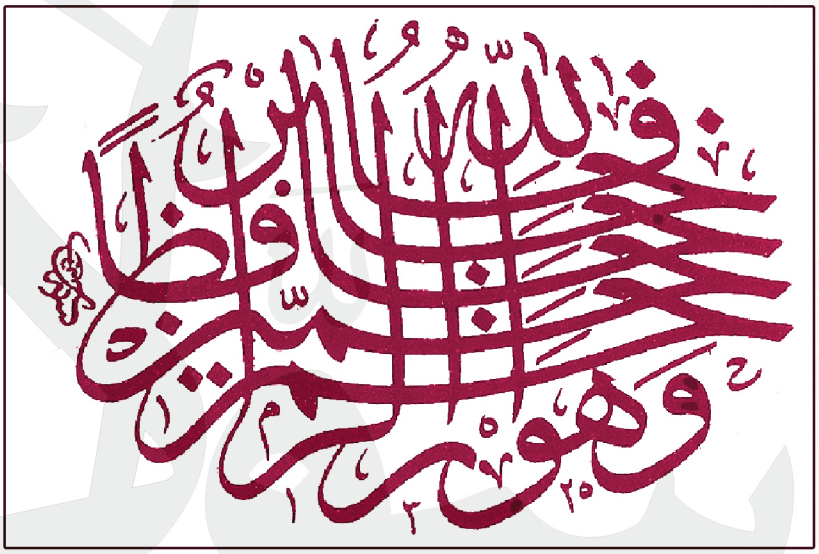

أما هذه اللوحة المحيرة، والتي أخذت وقتاً من البحث عن كاتبها، وقد كتبها أيضاً الخطاط حامد وكذلك الخطاط محمد عزيز الرفاعي، عنه، وعند البحث كل ما وجدته أن هناك خطاط عثماني اسمه حسن حسني مولود سنة ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ)، وبالرغم من أن هناك من نسبها للخطاط الدمشقي محمدحسني، إلا أن التوقيع مختلف، أما تاريخ اللوحة بالهجري ، وهو ما درج عليه الخطاطين منذ زمن وإلى يومنا هذا، فيكون تاريخها بالميلادي ١٩٠٧م، وفي كل الأحوال، لم أصل إلى نتيجة واضحة حول كاتبها بالرغم من المحاولات.

- يلاحظ أن توقيع محمد حسني الدمشقي في الصورة يساراً يختلف عن التوقيع في اللوحة أعلاه.

أهمية تحليل اللوحة الخطية: تحليل اللوحة الخطية مهارة أساسية يتم تعلمها عبر دراسة النقد بمختلف خطواته، ويتم تطويرها عبر الخبرة والممارسة، ويتعلق بدراسة محتويات اللوحة الخطية بمختلف عناصرها، جودة الأداء ودقة الحروف والقدرة على تنظيمها في ترابط ووحدة وتناسق وتنوع، وهذا يعني التوفيق بين المهارة والجودة مع توفر مبادئ التصميم، إلى الوصول بالخط إلى كتابته بسلاسة وبدون تكلف، والمحافظة على التقاليد.

وعلاوة على ما ذكرت،فالحكم النهائي على القطعة الفنية يتعلق بمدى توفر الخيال والإبداع الذي يعكس في الوقت نفسه الجمال الروحي والطاقة الكامنة في النفس البشرية، الذي يصعب بدونها اعتبار اللوحة ذات قيمة فنية كبيرة، تعيش في أذهان الأجيال لعقود طويلة، ونعني بذلك بأن اللوحة الخطية ليست عملاً منهجياً مجرداً، وتمثيل تقليدي، بل هناك طاقة روحانية تمنح العمل رؤية مختلفة وربما غامضة أحياناً، غير مدركة، وهو ما يشكل الفارق بين الأداء الجامد الذي يسوده التكلف، والاندماج في روح الخط والانصهار فيه.

لوحتان لاثنين من عمالقة الخط العربي محمد عبد العزيز الرفاعي ومحمد سامي.